مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي في عمَان بالقرن الرابع عشر الهجري– نظامها وآثارها

إعداد الباحثين:

د. مسلم بن سالم الوهيبي كلية العلوم التطبيقية بنزوى العمانية

د. سعيد بن راشد الصوافي جامعة السلطان قابوس

د. محسن بن ناصر السالمي جامعة السلطان قابوس

أ. خلفان بن سالم البوسعيدي وزارة التربية والتعليم العمانية

المستخلص

المدرسة منجَم التنمية الشاملة للمجتمع، وأي مجتمع اعتنى بالمدرسة فقد وضع خطواته الأولى في طريق التنمية، والمجتمع العُمَاني أحد المجتمعات التي لم يخل تاريخه من مدارس ذات دورٍ كبير في إحداث التنمية المنشودة، وتنوير الفكر المجتمعي. كما أنَّ عُمَان اليوم تشهد تنمية شاملة متسارعة في جميع المجالات، بتأثير مباشر من المدارس التي تنتشر في ربوع عُمَان منذ بزوغ الإسلام إلى يومنا هذا. يسلط البحث الضوء على أبرز مدارس عُمَان بالقرن الرابع عشر الهجري، كونه المؤسس القريب لمدارس العصر الحاضر. يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على مدارس عُمَان بالقرن ١٤هـ، ومنها: "مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي، نظامها وآثارها. يتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، في الوصف التعريفي بالشيخ صالح ابن علي الحارثي، وتحليل نظام مدرسته وآثارها باستخدام الدراسات التحليلية المكتبية. **ونتج عن هذه الدراسة نتائج عديدة أبرزها:** البرهنة على أن مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي تتمة للقوى الدافعة في حركة التعليم المستمرة في عُمَان منذ دخول الإسلام في عُمَان حتى القرن الرابع عشر الهجري، وتأسيس للنهضة الدينية المعاصرة. **ثم اختتم البحث بتوصيات إجرائية أبرزها:** استغلال آثار المدرسة بقرية القابل وتحويلها إلى مزار تراثي سياحي ملهم للأجيال المعاصرة في تشكيل قدوة حسنة، ورفدها بوسائل جذابة معاصرة.

الكلمات المفتاحية: مدارس عُمَانية رائدة، مدارس عُمَان بالقرن الرابع عشر، صالح بن علي الحارثي، التعليم الديني في عُمَان.

Abstract

The school considered as the mine of comprehensive development for the society, so it clear that any society interested in schools and education and put them in his first priority he would really find his steps in the way of development, Omani community as one of this nations that his history is enriched with it big roles and effective participation and a awareness of the sociable knowledge, as well as Oman is witnessing accelerating comprehensive development in different fields , as a result of the that ,the direct effect of spreading the numbers of schools in different parts of Oman since the emergence of Islam era and until today.The research focused on the most famous Omani schools during the ١٤th Hjri century and AL-shiekh Salih bin Ali AL-harthi School is one of them because it was regarded as the very near founder to the contemporary's era of schools. This methodical descriptive analytical research followed with the definition and description of Siekh Salih bin Ali AL-harthi and the analysis of his school system and its relics by using the library analytical studies. The study has come out with important results: the main results are: it proved that Siekh Salih bin Ali AL-harthi school was regarded as a completion for the pushing power in the continuous educational movement in Oman since the Islam entrance period in Oman until the ١٤th Hijri century and establishing the contemporary religion renaissance .The research concluded with many procedural recommendations such as: the officials should make use of school's relics and transfer it to a historical tourism place in order to encourage the contemporary generations and making it as a good model for them, besides providing it with the current attractive equipment and means for its rehablitation.

Key words: Leading Omani Schools, Oman Schools in the ١٤th HIjri century, Salih bin Ali AL-harthi, religion education in Oman**.**

تمهيد:

ظهرت عند المسلمين مدارس متعددة، شارك أصحابها في خدمة الإسلام وحمله، كل في ميدانه، وعُمان إحدى حواضر العالم الإسلامي التي تتابعت بها المدارس العلمية قرنًا بعد قرن، ففي القرن الرابع عشر الهجري الذي يعتبر تأسيسًا قريبًا للقرن المعاصر، ظهرت مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي بشكلٍ بارز ومميز، في مختلف ميادين المعارف الإسلامية، وآثار الشيخ صالح الحارثي مطبوعة ومتداولة، كما أن مدرسته أسست للنهضة الدينية العمانية المعاصرة على وجه الخصوص.

لقد كان الإمام المحتسب صالح بن علي الحارثي مجتهدًا، مهَّد للحركة الإصلاحية في عُمان وغيرها، فآثار سيرته ومدرسته تشكل مصدر إلهام وقدوة للأجيال المتعاقبة.

ويأتي هذا البحث بعنوان "**مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي في عُمَان بالقرن الرابع عشر الهجري، نظامها وآثارها**" ليعالج النقص الفكري في هذا الجانب؛ حيث إن الدراسات السابقة استفاضت في ترجمة الشيخ ولم تتوفر دراسة عن مدرسته.

أهمية وسبب اختيار موضوع البحث:

هناك العديد من الأسباب أدت إلى اختيار هذا الموضوع منها ما يلي:

- الرغبة الشخصية في دراسة هذا الموضوع باعتباره مؤسس للنهضة العلمية الدينية الحديثة في عمان.
- قلة الدراسات التي تناولت المدارس العُمانية الشرعية بشكلٍ مستقل.
- حاجة المكتبة العربية لمعرفة مدارس عمان بالقرن ١٤هـ، ومنها مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي؛ من حيث نظامها وآثارها.
- إن هذه الدراسة لا تنحصر فائدتها على باحثها، بل تعم جهات متعددة من مؤسسات وأفراد، فهي إن شاء الله المرجع لكل الباحثين والقراء في مدارس عُمان الشرعية.

- إن عدم القيام بمثل هذه الدراسة يعني استمرار النقص والغموض في هذا الجانب، الأمر الذي يجعل من الكتابة فيه أمرًا ملحًّا وضروريًّا لسد النقص وكشف هذا الغموض.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في تناول مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي: نظامها وآثارها، ضمن مدارس عمان بالقرن ١٤هـ، ويتفرع عن تلك المشكلة الإشكاليات البحثية الفرعية التالية:

- التعريف بالشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي.
- التعريف بالمدرسة ونظامها وآثارها.

أسئلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤل الرئيس التالي:

كيف كانت مدارس عمان بالقرن ١٤هـ، ومنها مدرسة الشيخ صالح ابن علي الحارثي؟ وما نظامها وآثارها؟ وذلك بالإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

- مَن هو الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي؟
- ما دور الشيخ صالح الحارثي في مجال التعليم؟
- ما نظام مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي؟ وما آثارها؟

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مدارس عمان بالقرن ١٤هـ، ومنها مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي؛ نظامها وآثارها، وذلك بتحقيق الأهداف الفرعية التالية:

- التعريف بالشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي وبيان جهوده في التعليم.
- التعريف بمدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي وبيان نظامها وآثارها.

منهج الدراسة:

يعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، في الوصف التعريفي بالشيخ صالح بن علي الحارثي، وتحليل نظام مدرسته وبيان وآثارها، باستخدام الدراسات التحليلية المكتبية.

إجراءات البحث:

سيتم اتباع المنهج الوصفي التحليلي، بالاطلاع على مصادر ترجمة الشيخ صالح الحارثي، ثم كتابة وصفية لشخصيته من جوانب عديدة في حياته، بعد ذلك تحليل نصوص الترجمة الدالة على مدرسته ونظامها وآثارها في المجتمع العماني خاصة والعالم الإسلامي عامة، وفقًا للمنهجية العلمية المتبعة لتحقيق هدف البحث.

الدراسات السابقة:

- **الحق الجلي من سيرة الشيخ صالح بن علي:** وهي رسالة كتبها الإمام نور الدين السالمي، وهو أبرز تلامذة الشيخ صالح، وفيها يرد على الانتقادات التي وجهت إلى الشيخ صالح بن علي في تعامله مع بعض الأحداث التي وقعت في عهده، كما يبين مكانة الشيخ العلمية والاجتماعية، ويحث الناس على تأييده والالتفاف حوله. طبعت هذا الرسالة بواسطة مكتبة الضامري ضمن كتاب "عين المصالح" المذكور في أوله في الصفحات الأربعين الأولى منه. (يذكر أن مكتبة الضامري توقفت عن طباعة الكتاب، والطبعة المتوفرة حاليًا هي الثانية، وتاريخها عام ١٩٩٣م، ثم قامت مكتبة الجيل الواعد بطباعة الأجوبة فقط مع رسالة عين الرشاد بطبعة منقحة محققة، ولم تدرج رسالة الحق الجلي فيها).
- **الشيخ صالح بن علي الحارثي (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م- ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦ م) ودوره الاجتماعي والسياسي:** بحث قصير للدكتور سعيد بن مُحَمَّد الهاشمي، نشر في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية في العدد ١٢٥. استعرض حياته وأدواره السياسية

والاجتماعية بشيءٍ من الاختصار، وهذا البحث متاح في أرشيف جامعة السلطان قابوس وموقع دار المنظومة.

ما تضيفه هذه الدراسة:

الدراسات السابقة لم تتعرض لوصف مدرسته وآثارها، ففي هذه الدراسة تكميل لموضوع هام جدًّا ونقص كبير في حياة الشيخ صالح ابن علي الحارثي بالتعريف والتحليل للمدرسة وآثارها ونظامها.

تقسيم الدراسة:

ينقسم البحث إلى مبحثين كما يلي:

المبحث الأول: التعريف بصاحب المدرسة.

المبحث الثاني: التعريف بالمدرسة وبيان نظامها وآثارها.

المبحث الأول

التعريف بصاحب المدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي (ت: ١٣١٤هـ)

تمهيد:

ولد الشيخ صالح بن علي الحارثي رحمه الله في القابل عام ١٢٥٠ للهجرة، أدرك الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي والإمام عزان بن قيس رحمهما الله، وبعد وفاتهما رأى الحارثي أن من واجبه التجديد في مجد عمان الشرعي بالقرن الرابع عشر الهجري، فلمع صيته وتميز بقدراته، وكانت عمان في تلك الفترة قد سادت فيها الأمية، فلعب الحارثي دورًا عظيمًا في تغيير هذا الواقع وإصلاحه، وفق تصوره لمبادئ الإسلام وقيمه، فكان مُجددًا ومصلحًا، وأثمرت جهوده التدريسية بتخريج حملة العلم الذين كان لهم الدور الكبير في النهضة العلمية بعمان في تلك الفترة، وما زالت كتب ومؤلفات أشهر تلاميذه نور الدين السالمي رافدًا من روافد العلم والمعرفة في مختلف الموارد الأصولية والفقهية واللغوية والتاريخية، ويمكن التعرُّف على الشيخ صالح بن علي الحارثي في المبحث الأول كما يلي:

أولًا: اسمه ومولده وأصله وقبيلته.

ثانيًا: نشأته وحياته الاجتماعية.

ثالثًا: شخصيته القيادية في السياسة والعلم.

رابعًا: أهم مؤلفاته العلمية.

خامسًا: وفاته.

سادسًا: كنيته ولقبه.

وتفصيل هذه النقاط فيما يأتي:

أولًا: اسمه ومولده وأصله وقبيلته:

١. اسمه ومولده:

اسمه صالح بن علي بن ناصر بن عيسى بن صالح بن عيسى بن راشد ابن سعيد بن رجب السمري الحارثي [(١)].

ولد رحمه الله في القابل عام ١٢٥٠ للهجرة، وقد توفي أبوه في ذات السنة (قبل أن يولد، أو بعد ولادته بقليل)، وكذلك جده ناصر بن عيسى أيضًا توفي في نفس العام قتيلًا في حملة السيد سعيد بن سلطان على المزاريع في شرق إفريقيا[(٢)].

٢. أمَّا أصله فمن الأعلام من أجداد الشيخ صالح:

- عيسى بن راشد بن سعيد بن رجب: الذي تأسست إمارة الحرث على يديه.
- راشد بن سعيد بن رجب: عالم فقيه عاصر الإمامين سلطان بن سيف بن مالك اليعربي وبلعرب بن سلطان ابن سيف اليعربي، وتولى لهما القضاء في ولاية إبراء، وله كتاب جامع ابن رجب.
- صالح بن عيسى الجد الثالث: أنشأ مدينة القابل وانتقل إليها[(٣)].

٣. أمَّا قبيلته:

فينتمي هذا الشيخ لقبيلة الحرث ذات الصيت والشأن في المنطقة الشرقية من القطر العماني، وينحدر من أسرة معروفة حازت التصدر والمشيخة فيها، كما كانوا أهل علم ودور بارز في الحياة الاجتماعية والسياسية، فصارت لهم قوة بحيث تحالفت معهم معظم قبائل الشرقية، فصارت أجزاء كبيرة من شرقية عمان تحت نفوذهم الفعلي التقليدي فيما عرف

(١) الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ج٣، ص١٩٣.

(٢) الهاشمي، سعيد، **الشيخ صالح بن علي الحارثي ودوره الاجتماعي والسياسي**، جامعة الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية في العدد ١٢٥ ، ٢٠٠٧، ص٥.

(٣) ابن رزيق، حميد بن مُحَمَّد، **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**، وزارة التراث والثقافة (سلطنة عمان)، مسقط، سلطنة عمان، ١٩٨٣، ص٢٨.

بإمارة الشرقية، أو إمارة الحرث التي تأسست بزعامة عيسى ابن راشد بن سعيد بن رجب جد الشيخ صالح، ثم تسلسلت في ذريته[١]. يقول الشيخ سالم بن حمود السيابي: "ولآل الحارث رئاسة على كثير من قبائل الشرقية بصفة خاصة، ولهم في عمان ذكر حافل بحسن الشمائل، وفضل الخمائل، وهم محترمون بين القبائل الشرقية؛ لأن صوت صالح بن علي رفع منازلهم وحفظ ذمارهم"[٢].

ثانيًا: نشأته وحياته الاجتماعية:

١. نشأته التي أهَّلته لتأسيس مدرسة واتجاه:

نشأ في كنف والدته وجد أبيه عيسى بن صالح، وطلب العلم لدى معلمي القرآن في بلدته القابل وبلدة أعمامه المضيرب القريبة منها، ولما شبَّ رحل لطلب العلم الشرعي عند أكبر علماء عمان في زمانه، وهو الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي في سمائل، حيث تتلمذ على يديه لسنتين منفصلتين[٣].

٢. حياته الاجتماعية وقوة شخصيته:

تميزت شخصية الشيخ صالح بمميزات جعلته أهلًا للقيادة، واجتمعت فيه صفات قلما تجتمع لأحدٍ، فقد جمع العلم الشرعي مع الوجاهة الاجتماعية، ولذلك سمي بذي الجناحين، كما كان عصاميًّا، أبيَّ النفس، حازمًا، شجاعًا، مقدامًا، ومع ذلك شديد العطف على الضعفاء، ومتواضعًا لعامة الناس. وبوجود هذه الخصائص اجتمع الناس حوله وتنامتْ سلطة رئاسته، حتى غدا من أهم الشخصيات المؤثرة في زمانه[٤].

(١) الحارثي، سالم بن عبد الله، **أضواء على بعض أعلام عمان قديمًا وحديثًا**، المطبعة العالمية، مسقط، ١٩٩٤، ص١٩.
(٢) السيابي، سالم بن حمود: **العنوان عن تاريخ عمان**، د. ت، ص ١٤٧.
(٣) الهاشمي، سعيد، **الشيخ صالح بن علي الحارثي ودوره الاجتماعي والسياسي**، مرجع سابق، ص٦.
(٤) الهاشمي، سعيد، **الشيخ صالح بن علي الحارثي ودوره الاجتماعي والسياسي**، المرجع السابق، ص٧.

ثالثًا: شخصيته القيادية في السياسة والعلم:

كان الإمام العالم، الشيخ الولي الصالح صالح بن علي الحارثي من شرقية عمان، يعد من أهم الشخصيات العلمية والسياسية في تاريخ عمان الحديث، فهو أحد الموقعين البارزين على إمامة عزان بن قيس (١٨٦٩- ١٨٨١م)، وهو من أكبر قواده، وأجل من دارت عليه سياسة مملكته، وكان إلى جانب ذلك زعيمًا مبرزًا في قومه، وعالمًا فذًّا أخذ عليه أهل المذهب فتواهم، وأخذ الناس عنه دينهم، وكان لشخصيته القوية موئل المسلمين في النوائب، فلا يرجو أحد من أهل زمانه إقامة أمرٍ إلا على يديه، ولا يجد الظلمة مهابة إلا منه، ومع هذه الصفات التي يشهد بها معترفو فضله، فإنه كان مرمى سهام الناقدين الساخطين على سيرته وسلوكه، وقد ردَّ عليهم تلميذه الوفي الشيخ نور الدين السالمي ردًّا مفحمًا بالأدلة العقلية والنقلية، وأوضحَ الظروف التي جعلت الناس تختلف في أمره حيث يقول: "إن شيخنا هذا قد ابتلي بأمور أهل عمان، وبحروب أهل البغي والطغيان؛ طلبًا لرضا الرحمن، ولإحياء سُنة المصطفى، وإقامة العدل على التمام والوفاء، فقدح في سيرته قومٌ كان الواجب عليهم الدخول في شأنه بموجبات العدل والولاء، وأن يكونوا من أنصاره وأعوانه على أنه أعلم أهل زمانه بالحلال والحرام، وأعزهم حماية للإسلام، وأوفاهم رعاية للذمام ... فهو من المحتسبين لإظهار الحق، وإشهار الصدق منذ صغره إلى حال كبره لا يشك في ذلك أحد، ومن كان بهذه الصفة، أعني: محتسبًا لإظهار الحق، محقًّا في أحواله يجب على أهل مصره ولايته، وكفى تبرئة لساحة الشيخ صالح شهادة تلميذه العلامة نور الدين السالمي الذي رثاه بقصائد كثيرة هو وشعراء عصره مثل ابن شيخان السالمي، بل إن للشيخ السالمي ديوانًا مستقلًّا في مديح هذا الشيخ ورثائه؛ من ذلك قوله:

لـه التجـارب قـد أبـدت عجائبهـــا　　وفي التجـارب بعـض الغيـب مرسـوم
لـه الممالـك قـد ألقـت أزمتهـــــا　　فـآب والعـز في كفيـه مذمـــــــوم

فأوسع الخلق من علم ومن كرم وسؤدد وهو بالإنصاف مخـــتوم[١]

ويقول عنه شيخه المحقق: سعيد بن خلفان الخليلي في حق تلميذه البار، داعيًا إياه للقيام بأمر خلافة المرسلين وميراث النبين: "إنك قد صرت للناس والعمل قدوة، ولهم فيك أسوة، فيا رُبَّ أخٍ يقتدي بسيرتك ويهتدي بطريقتك لِما يسمع من أقوالك، ويرى من أعمالك، ويشاهد من أحوالك"[٢].

رابعًا: أهم مؤلفاته العلمية:

لم يكن الشيخ متفرغًا للعلم والتعليم فحسب، بل كان كثيرًا ما يشكو شدة انشغاله بأمور الناس العامة، حيث عاش الشيخ في فترة زمنية كثُرت فيها النزاعات القبلية، مع عدم وجود سلطة سياسية قادرة على ضبط شئون الناس العامة، فسلاطين مسقط لم يكن لديهم اهتمام بتلك النواحي في داخلية عمان، لكونها ليست ذات قيمة بالنسبة لهم اقتصاديًّا أو جغرافيًّا، هذا الوضع جعل الشيخ يتخذ دور المحتسب في تلك النواحي، والذي جعله -كما يرى الشيخ نور الدين السالمي (تلميذ الشيخ صالح الأبرز)- بمثابة إمام شرعي غير معلن، مع هذا كله ترك الشيخ إنتاجين علميين مهمين وهما[٣]:

- **عين المصالح في أجوبة الشيخ صالح**: وهو مجموعة كبيرة من فتاوى الشيخ صالح تناولت معظم الأبواب الشرعية، بدءًا من العقيدة وانتهاءً بالسياسة الشرعية، جمع هذه الفتاوى الشيخ أبو الوليد سعود بن حميد آل خليفين (١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م- ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م).

---

(١) ينظر: السالمي، عبد الله بن حميد، **الحق الجلي**، وكذلك: مقدمة عين المصالح (http://www.taddart.org/?p=٦٨٩٠).

(٢) الخليلي، سعيد بن خلفان: **تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ج٣، ص ١٠٠.

(٣) آل خليفين، الشيخ أبو الوليد سعود بن حميد، **عين المصالح في أجوبة الشيخ صالح**، مكتبة الضامري، مسقط، سلطنة عمان، ط٢، ١٩٩٣، ص: ١: ٤٠.

- **عين الرشاد في تفصيل الجهاد:** وهذه رسالة في أحكام الجهاد، وقد أملاها الشيخ بنفسه فيما يبدو، وقد طبعت ملحقة في آخر كتاب عين المصالح المذكور آنفًا، وسوف نتعرض لهما بشيءٍ من التفصيل لاحقًا.

خامسًا: وفاته:

كان الشيخ قد أدخل قبيلتي الندابيين والرحبيين من سكان سمائل في حِلفه بعد أن طلبوا منه ذلك، فذهب إلى بلدانهم وأعلنها (قطعة من إمارة الشرقية، أو في بعض المراجع بلاد الحرث، فمن تعدى عليها أو على أحدٍ من أهلها فكأنما تعدى علينا)، وفي ربيع الآخر من عام ١٣١٤هـ خرج مناصرًا لهم بسبب اعتداء وقع عليهم من بني جابر في قرية الجيلة من سمائل[1]، ففي اليوم السادس من ذلك الشهر قام بحملة ضدهم، أُصيب فيها بطلقة بندقية في فخذه، لبث بها ساعات وتوفي عصر ذلك اليوم، ودفن في قرية الإبراهيمية من وادي سمائل، يوافق ذلك ٢١ من شهر أغسطس ١٨٩٦م، وترك الشيخُ من الذرية ثلاثة أبناء ذكور، وهم:

- الشيخ عيسى بن صالح الحارثي.
- أحمد بن صالح الحارثي.
- علي بن صالح الحارثي.

بالإضافة إلى الثاني من أبنائه: عبد الله بن صالح، الذي توفي في حياة والده سنة ١٣١٢هـ.

سادسًا: كنيته ولقبه:

يكنى الشيخ صالح بـ(أبو عيسى) حيث إن عيسى هو أكبر أبنائه وتزعم القبيلة بعده، يقول السالمي:

(١) السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، (د. ت)، ج٢، ص٢٣٨.

أبا عيســـــى لقـــد أتعبـــت قومًـــا أتـــوا للمجـــد بعـــدك خاطبينـــا[1]

ويلقب بالإمام المحتسب، ويعرف السالمي المحتسب بقوله: "هو رجل حر مسلم من أهل الثقة والأمانة، قام عند عدم الإمام رجاءً لثواب الله عز وجل، فأمر بما قدر على الأمر به من المعروف، ونهى بما قدر على النهي عنه من المنكر، وكان عالمًا فيما يأمر به، عالمًا فيما ينهى عنه، آمرًا بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ولا يفعله"[2]. وأساس الاحتساب قوله تعـــالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ويلقب كذلك بـ(ذي الجناحين) وذلك لأنه جمع بين الزعامتين: زعامة الدين وزعامة الدنيا، فكان عالمًا مرجعيًّا في عصره، بجانب ما كان يتمتع به من قدرة قيادية في قومه، فهو صاحب السيف والقلم[3].

(١) السليماني، عيسى بن محمد، **ديوان السالمي للإمام السالمي**، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٧٣.

(٢) السالمي، أبو محمد عبد الله بن حميد، **الحق الجلي في سيرة الشيخ الولي صالح بن علي**، ص٥.

(٣) الصقري، محمود بن عبد الله بن سلام: **السيرة الزكية للشيخ الولي صالح بن علي**، بحث تخرج من كلية العلوم الشرعية بسلطنة عمان، ٢٠٠٢م، غير منشور، ص١١.

المبحث الثاني

التعريف بالمدرسة ونظامها وآثارها

تمهيد:

من الجدير بالاهتمام تناول الظروف المصاحبة لهذا النوع من التعليم القديم، قبل التعرف على مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي (ت: ١٣١٤هـ)، بوصفها اتجاهًا تقليديًّا وفكريًّا في التعليم غير النظامي، فعندما بدأ العالم العربي يتجه إلى تحديات التعليم في القرن الحالي، وينشئ المدارس النظامية، والكليات، والجامعات، بقي التعليم العماني بالقرن الرابع عشر الهجري محصورًا في الكتاتيب وحلقات المساجد التي كان لها الفضل في الأزمنة الغابرة في تخريج العديد من العلماء والأدباء والموهوبين، الذين أثروا تراثنا العماني بكنوز من علوم الفقه والتوحيد، وذخائر اللغة والشعر. وفي عام ١٩٤٠م أُنشئت أول مدرسة نظامية في العاصمة مسقط؛ تيمنًا بمولد حضرة صاحب الجلالة المغفور له السلطان قابوس بن سعيد المعظم، وكأن العناية الإلهية قد قرنت هذه المناسبة بتلك ليكون التعليم على رأس اهتمامات جلالته رحمه الله، منذ أن تسلم مقاليد الحكم في البلاد عام ١٩٧٠م[(١)].

ولكي يتم التعرف على مدرسة الشيخ الحارثي، بوصفها اتجاهًا تقليديًّا وفكريًّا في التعليم غير النظامي، سوف تتم تجزئتها في النقاط الآتية:

أولًا: القوى الدافعة لحركة التعليم في عمان قديمًا حتى القرن الرابع عشر الهجري.

ثانيًا: أبرز المدارس وبيوت التعليم التي كانت موجودة في القرن الرابع عشر الهجري، عصر ظهور مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي.

ثالثًا: بيئة مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي.

رابعًا: بواكير تأسيس مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي ومناهجها.

خامسًا: الشيخ صالح بن علي الحارثي وتطوير المدرسة لتصبح اتجاهًا فكريًّا، وأهم آثاره.

---

(١) مرسي، مُحَمَّد منير، **التعليم في دول الخليج العربية**، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، ص٦٧.

سادسًا: الملامح الفكرية للشمولية العلمية لمدرسة الشيخ صالح، ضمن كتابه "عين المصالح من أجوبة الشيخ صالح".

سابعًا: أسباب الريادة والقيادة لمسيرة التعليم في مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي، وصلتها بسمات شخصيته.

ثامنًا: موقع المدرسة.

تاسعًا: النظام الدراسي والمناهج في مدرسة الشيخ صالح.

عاشرًا: تلاميذ مدرسة الشيخ صالح.

وتفصيل هذه النقاط فيما يأتي:

أولًا: القوى الدافعة لحركة التعليم في عمان قديمًا حتى القرن الرابع عشر الهجري:

لم يكن دخول عمان في الإسلام حدثًا عابرًا بالنسبة لأهلها، بل نقطة تحول كبرى، كانت -وستظل- مصدر الإلهام والعطاء، والحافز على نشر أنوار المعرفة والعلوم على أرضها الطيبة، حيث بدأت بواكير اعتناق العمانيين للإسلام من زيارة الصحابي العماني مازن بن غضوبة للرسول ﷺ بالسنة السادسة للهجرة، ثم قدوم عمرو ابن العاص إلى عمان حاملًا دعوة الرسول الكريم لأهلها للدخول في الإسلام، واستجابتهم لها طواعية، ومن ذلك الوقت بدأ نشر الدعوة الإسلامية يأخذ اتجاهًا تعليميًّا يتلقى النشء من خلاله مبادئ الدين الحنيف منذ نعومة أظفارهم، فيتعلقون به وتمتلئ قلوبهم بهديه، وكان هذا التعلق بالإسلام يحفزهم على التبحر بعمق في دراسة المعارف الإسلامية وعلوم اللغة العربية، ليكونوا أكثر قدرة على الاجتهاد في فهم تعاليم الإسلام على أسس سليمة قوية، وكان تعطشهم للتزود بعلوم الدين واللغة، وحماسهم لتنشئة أبنائهم نشأة إسلامية خالصة، هو الذي حَدَا بهم إلى فتح مدارس الكتاتيب بجوار المساجد أو في داخل البيوت لتحقيق هذا الغرض، وكان هذا النوع من معاهد التعليم التقليدي هو السمة الغالبة التي سادت في كافة أرجاء العالم الإسلامي آنذاك،

واستمرت حتى مطلع القرن العشرين[١]، بل لا زالت مستمرة نماذج منها في عمان إلى اليوم[٢].

وتتصل عمان بماضٍ تليدٍ منذ دخول الإسلام إليها بشكل جماعي على يد رسول رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، وكان لها دور بارز في نشر الإسلام في شرق إفريقيا، وكان للإسلام تأثير كبير في شتى مجالات الحياة ومنها التعليم. وكان للإسلام أيضًا تأثير على اتجاهات المجتمع العماني نحو التعليم، فلم تكن مدينة أو قرية في عمان إلا وفيها مجلس يجمع شيبها وشبابها كل مساء للتداول في أمور الحياة، ولم يكن هناك مجلس من هذه المجالس إلا ويكرس جانبًا كبيرًا من وقته للتفقه بالدين، والتزود بالمعارف الإسلامية، والتحدث في شئون الأدب والشعر، وقد ساعدتْ هذه العادات المتأصلة في المجتمع العماني، والتي توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد على تدعيم إنشاء الكتاتيب وحضور الحلقات الدراسية في المساجد[٣].

ثانيًا: أبرز المدارس وبيوت التعليم التي كانت موجودة في القرن الرابع عشر الهجري، عصر ظهور مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي:

مدرسة الخور: التي سميت باسم المسجد الذي كان التدريس يتم فيه، **ومدرسة (الزواوي)** في (مغب)، وكانتا موجودتين أيام حكم السلطان السيد تركي بن سعيد بن سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد (١٢٨٥-١٣٠٥هـ/ ١٨٧١- ١٨٨٨)[٤].

ومدرسة مُحَمَّد الوكيل ومدرسة بيت الوكيل: وكلتاهما كانت بمسقط في حياة السلطان السيد فيصل بن تركي بن سعيد (١٣٠٥-١٣٣١هـ/ ١٨٨٨- ١٩١٣م)، **ومدرسة بوذينة**

(١) وزارة التربية والتعليم، **لمحات عن ماضي التعليم في عمان** (صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة عشر للعيد الوطني المجيد ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م)، وزارة التربية والتعليم وشئون الشباب، ١٩٨٥، ص٢١.

(٢) مثل مدرسة الشيخ حمود الصوافي في ولاية المضيبي.

(٣) وزارة التربية والتعليم، **لمحات عن ماضي التعليم في عمان**، المرجع السابق، ص٢٤.

(٤) الخصيبي، مرشد بن مُحَمَّد، **عمان أيام زمان**، وزارة التراث القومي والثقافة، ط١، مسقط ١٩٩٤، ص١٤٢، وزارة التربية والتعليم، **لمحات عن ماضي التعليم في عمان**، مرجع سابق، ص٣٣.

التي سميت باسم المدرس الذي كان يقوم بالتدريس فيها وهو (مُحَمَّد علي بوذينة) الذي قدم إلى عمان مهاجرًا من تونس في عهد السلطان السيد تيمور بن فيصل، وقد كلَّفته الحكومة بالتدريس لما يزيد عن مائة تلميذ من البنين والبنات، وكان السلطان السيد سعيد بن تيمور ممن درسوا في هذه المدرسة التي استمرت حتى عام ١٩٣٠م، عندما انتقل تلاميذها ومعلمهم إلى المدرسة السلطانية الأولى التي أنشأتها الحكومة آنذاك، وكان يدرس بهذه المدرسة السلطانية علوم القرآن، والتوحيد، والفقه، واللغة العربية، والتاريخ، والجغرافيا، والتربية الوطنية، والعلوم والصحة.

وكان هنالك **مدرسة بيت السيد نادر بن فيصل** التي بدأ التعليم بها في عهد السلطان السيد سعيد بن تيمور بن فيصل (١٣٥٠-١٣٩٠هـ/ ١٩٣٢- ١٩٧٠)[١].

أيضًا **المدرسة السلطانية الثانية** التي أنشئت عام ١٩٣٥م بعد أن استؤجر منزل ليكون مقر المدرسة السلطانية الثانية.

إضافة إلى ذلك في عام ١٩٣٦م/ ١٣٥٥هـ أنشئت **المدرسة السعيدية بصلالة**، التي تعتبر أول مدرسة للبنين بالمنطقة، وقام بافتتاحها السلطان السيد سعيد بن تيمور.

وفي عام ١٩٤٠م افتتحت **المدرسة السعيدية بالعاصمة مسقط** تيمنًا بمولد السلطان قابوس بن سعيد، وقد اشتد الإقبال على هذه المدرسة، لدرجة أن كثيرًا من المدارس الأخرى قد أُغلقت، وكانت مدرسة ابتدائية مدتها ست سنوات، لكنها كانت تضم أيضًا مرحلة تمهيدية لما قبل التعليم الابتدائي مدتها سنتان، وقد كانت هذه المدرسة مدرسة عصرية بمعنى الكلمة؛ فإلى جانب النشاط العلمي كان بها النشاط الرياضي المتنوع، والنشاط الكشفي، والرحلات التي كانت تنظمها للمناطق القريبة والبعيدة، وكان يستجلب لها الكتب من مصر وفلسطين ولبنان.

(١) وزارة التربية والتعليم، **لمحات عن ماضي التعليم في عمان**، المرجع السابق، ص٤٢.

وفي عام ١٩٥٩م أنشئت **المدرسة السعيدية بمطرح**: وهي مدرسة ابتدائية، وقد سارت على خطى المدرسة السعيدية بمسقط من حيث النظام التعليمي، والكتب المدرسية، والدوام اليومي، وإشراف دائرة المعارف عليها(١).

ثالثًا: بيئة مدرسة الشيخ صالح بن علي الحارثي:

اتسمت منطقة القابل في الفترة (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م- ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) ببروز الحياة العلمية والفكرية فيها، فقد كانت قبلةً لعددٍ كبير من العلماء والمفكرين ممن أبدعوا في شتى المجالات وألفوا في شتى صنوف العلم والمعرفة؛ ويرجع ذلك إلى المدارس العلمية التي ظهرتْ فيها في تلك الفترة، والتي كانت ملتقى لطلبة العلم من داخل عمان وخارجها، ومن أبرزها مدرسة الشيخ سعيد بن علي الصقري(٢).

رابعًا: بواكير تأسيس مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي ومناهجها:

أسس هذه المدرسة الشيخ سعيد بن علي بن عيسى بن سعيد بن علي الصقري الريامي، الذي ولد في إبراء في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وعاصر الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي والإمام عزان بن قيس، ومُحَمَّد بن سليم الغاربي، ومُحَمَّد بن يوسف أطفيش الذي كان يطلب منه طباعة الكتب التي ألفها على نفقته، سافر إلى شرق إفريقيا في أواخر عهد السيد سعيد بن سلطان مشتغلًا بالتجارة، ومتنقلًا بينها وبين عمان، فكان ميسور الحال، اتصف بشدة الخشية لله تعالى، وكان يتحسَّر إذا سمع بحرب دائرة بين المساكرة والحرث، فكان يقول: "كيف يقابلون ربهم وما هو عذرهم؟!"، وكان له أموال موقوفة لفعل الخير ولطلبة العلم، استقرَّ بعد تنقلاته المستمرة بين عمان وشرق إفريقيا في الدريز، بمنطقة القابل، ثم استقر في قريةٍ أخرى بمنطقة القابل تسمى فلج مسعود.

(١) مرسي، مُحَمَّد منير، **التعليم في دول الخليج العربية**، مرجع سابق، ص٦٨.

(٢) السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **معارج الآمال**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٩٣، ص١٨ وما بعدها.

وفي عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م انتقل إلى عز وأجرى فلجها، بالإضافة إلى قيامه بأعمال أخرى منها تأسيسه مسجدًا ومدرسة فيها، فكانت معظم حلقات العلم تقام في مسجد الصقري الذي يقع في الجنوب الغربي من قرية عز. ومن أبرز العلوم التي كانت تدرس في هذه المدرسة علوم القرآن الكريم، والفقه، والعقيدة، والسيرة وعلوم الحساب. وتخرج فيها عدد كبير من العلماء والسياسيين؛ من أبرزهم الشيخ صالح بن علي الحارثي[(١)].

خامسًا: الشيخ صالح بن علي الحارثي وتطوير المدرسة لتصبح اتجاهًا فكريًّا، وأهم آثاره:

لقد صاهر الشيخُ صالح بن علي الحارثي الشيخ سعيد بن علي بن عيسى بن سعيد بن علي الصقري الريامي بزواجه من ابنته، التي أنجبت الشيخ عيسى بن صالح.

وقد سبق الحديث عن أعماله السياسية، وقد لُقب بذي الجناحين لجمعه بين رئاسة السيف والقلم.

ومن أبرز مؤلفاته التي مثلت اتجاهه الفكري وخلاصة مناهجه التعليمية في مدرسته **"كتاب عين المصالح من أجوبة الشيخ صالح"**:

ويتضمن الكتاب مجموعة من الأجوبة والفتاوى قام بترتيبها أبو الوليد سعود بن حميد بن خليفين آل خليفين، فقال في مقدمتها: "فقد طلب مني من وجبت له الطاعة ومن أرجو بامتثال أمره الشفاعة، أن أرتب هذا المختصر المفيد الواضح من جوابات الشيخ صالح من تغنى بذكره الناغم والصادح، وأثنى عليه البار والطالح، الإمام المؤيد، من هو للدين أعظم ناصح، صالح بن علي بن ناصر بن عيسى بن صالح الحارثي ﷺ، وجعله من أهل الميزان الراجح يوم امتحان القرائح، وجزاه الله عن الإسلام وأهله الجزاء الصالح، وها أنا أشرع بعون الله في امتثال هذا الأمر، مستمدًّا من ذي الجلال مواهب الأفضال، راجيًا منه سبحانه أن

(١) النبهاني، سالم بن حمد، **عمان في عهد السلطان تيمور بن فيصل**، البرنامج الوطني لدعم الكتاب، سلطنة عمان، ص٢٠٩.

يوزعني لشكره، وأن يجعلني من أهل ذكره، ومن خدم أهل سره، منتظمًا في سلك أوليائه، مقبولًا عنده في حضرة أصفيائه، فإنه لا حول ولا قوة لنا إلا به، ولا ملجأ إلا إليه، وسميته "عين المصالح في أجوبة الشيخ صالح".

سادسًا: الملامح الفكرية للشمولية العلمية لمدرسة الشيخ صالح ضمن كتابه "عين المصالح من أجوبة الشيخ صالح":

برزت الملامح الفكرية للشمولية العلمية لمدرسة الشيخ صالح في مجموعة من الأجوبة والفتاوى التي قام بترتيبها أبو الوليد سعود بن حميد بن خليفين آل خليفين، حيث قد تضمن عدة أبواب كما يلي[1]:

- باب في منزله هذا الشيخ في الإسلام.
- أبواب في الفقه؛ منها باب في النجاسات، والطهارة، والوضوء، والتيمم، وفي الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج والعمرة، والأيمان والنذور، والكفارات، وفي النكاح والطلاق، وأحكام عدة الموت، والعتق، وأحكام المماليك، والبيوع، وفي الشفعة، والقرض، والرهن، وقضاء الدين، وفي أموال الأيتام والأمانة، والعطايا والانتصار والغصب، والوصايا، والمساجد، والوقف، والأدوية، والدعاوى، واليمين، والميراث، والقصاص، والحروب وجهاد أهل البغي.
- كتاب "عين الرشاد في تفصيل الجهاد": وقد أدرج ضمن كتابه "عين المصالح"، وقام بترتيبه أبو الوليد سعود بن حميد آل خليفين، وذكر في مقدمته: "فهذه مسائل في الجهاد، بل معالم للرشاد، ألفها شيخنا المرحوم مَن علت به همته، هام النجوم، قدوتنا الولي صالح بن علي، وضعها للمريد من العبيد، وأوضح فيها الطريق على وجه يليق بمعنى دقيق ولفظ أنيق، أهدته إليه يد التوفيق والتحقيق، وأسماها "عين الرشاد في تفصيل الجهاد"، وقد فرغ من تأليفه في غرة شهر رمضان عام ١٣١٠هـ/ ١٩ مارس ١٨٩٣م. وهدف الشيخ

(١) آل خليفين، **عين المصالح في أجوبة الشيخ صالح**، مرجع سابق، ص: ١: ٤٠.

صالح من تأليفه هذا الكتاب معالجة المشكلات الاجتماعية السائدة بين القبائل، وذلك نتيجة للحروب القبلية التي ابتليت بها عمان بين الغافرية والهناوية؛ مما أدى إلى اختلال أمنها الاجتماعي، وهذا ما يتضح من خلال السؤال التالي: "فإن كان الحارثي لما قتل المساكرة، أو الهاشمي لما قتل الحجريين، ودخلا في عشيرتهما، ولم يقم المقتولون الحجة على تلك القبيلة القاتل منها بعضهم، ولكن بادروهم بالقتل قبل ما الحكم؟ وسؤاله لأستاذه الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي: "ما قولك شيخنا في قبائل أهل عمان المستحوذ عليهم الشيطان، لما على قلوبهم من الظلمة والران، فتظاهروا على البغي والعدوان والظلم والعصيان، تمسكًا بالحمية الجاهلية، ونبذًا للكتاب والسنة المحمدية، فصاروا يتقاتلون ويتناهبون على الكلمة المصطلح عليها هناوية وغافرية؟ وقد ابتدأ كتابه في تعريف البغي وصفة الباغي التي تبيح دمه في حكم المسلمين، وفي توبة البغاة، وحكم القبيلة التي ترفض تسليم الباغي.

سابعًا: أسباب الريادة والقيادة لمسيرة التعليم في مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي، وصلتها بسمات شخصيته:

لقد ولد الشيخ صالح بن علي ببلدة المضيرب من ولاية القابل وذلك سنة ١٢٥٠هـ، وقد نشأ نشأة طيبة وفي أسرة شرف ورئاسة؛ حيث كان جده عيسى رئيسًا على قبيلة الحرث، ولازمه الشيخ صالح في سني عمره الأولى، وتوفي الجد عيسى والشيخ صالح لا يزال في الثامنة من عمره.

في هذه المرحلة المبكرة من حياته انطبعت شخصيته بملامح القيادة والزعامة، واستطاع أن يكتسب محامد الرجولة؛ لملازمته لمجالس جده وسماعه لما يدور فيها من مداولات ونقاش حول ما يستجد من قضايا الناس، وما في تلك الجلسات من حلٍّ للمشكلات وإصلاح بين الناس؛ فنشا عالي الهمة، سامي النفس، زكي الأخلاق، فطبع صفاته في تلاميذه، فكان خير قدوة لهم.

وكان لأمه فضل في صياغة شخصيته؛ حيث جعلتْ له مربية تقوم بتعليمه، وكانت معروفة بمنطقها وطلاقة لسانها.

وتتسم البلدة التي نشأ فيها الشيخ صالح التي تمزج بين الصحراء بشدتها وقسوتها، وبين المناخ الزراعي بلطافته وأريحيته، فتمازجت هذه الطبيعة بشخصيته؛ فأخذ من الصحراء حزمها وشهامتها، وتشبعت روحه بالشجاعة والقوة، وأخذ من الواحة شفقة المؤمن وأريحية المجاهد، فلا غرو أن نرى الشيخ صالح فيما بعد صلبًا في مواقفه، شجاعًا في رأيه، ملتزمًا بأخلاق المؤمنين، ويسعى إلى إقامة أمور الدين في حياة الناس، وآثر أن يعيش حياة الكفاح والمعاناة في سبيل رضا الله سبحانه وتعالى، من أن يعيش كالأقزام في دنيا الذل والاستجداء.

عاصر الشيخ زمن السيد سعيد بن سلطان، وكان ذات يوم قد دخل الحرث لمقابلة السيد سعيد، وكان الشيخ صغيرًا، فسأله عن اسمه، ولما أجابه قال له: "كان أبوك رجلًا عزيزًا؛ إلا أن النار تخلف رمادًا"، فأجاب الشيخ: "نار السمر تخلّف جمر". فانبهر السيد من جوابه وقوة بديهته بالرغم من حداثة سنِّه، وحينما خرج القومُ قال السيد لأبنائه: "ستروا عجبًا من هذا الولد".

وكان لدراسة الشيخ صالح على يد العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي أثرها، حيث هاجر إليه وهو صبي لم يبلغ الحلم، فأعطاه دروسًا ورده إلى بلده، ثم رجع إليه في العام القابل ولقنه دروسًا أخرى، ولما رجع إليه ثالثًا قرَّ به وتوسَّم فيه الصلاح.

ويصف الشيخ صالح نفسه ما حدث له فيقول: "ذهبتُ إلى الشيخ طلبًا للعلم، فلم يلتفت إليَّ وبقيت أيامًا أتردد ما بين بيته ومسجده وهو يعرض عني، فلما رآني صابرًا على ذلك أعطاني كتابًا، وقال: "اقرأ هذا الكتاب، فإذا فرغت منه فأتني"، يقول الشيخ صالح: "بلغني بعدما تعلمت منه وخرجت أنه قال –في حين الامتحان–: "إن هذا الولد من بيت شرف، فإن كان طلبه العلم لله لن يستنكف من معاملتي له وسيرجع، وإن كان طلبه للدنيا

لن يرجع لأنه يرى ذلك إهانة له"، قال: فرجعتُ إليه ورأى مني اجتهادًا، فأقبل عليَّ إقبالًا كليًّا وقربني منه، فنلت منه خيرًا كثيرًا"[١].

كان -رحمه الله- أعلمَ أهل زمانه بالحلال والحرام، يقظًا، حازمًا، متواضعًا، رقيق القلب، كثير الرحمة على عباد الله، ينفق في سبيل الله وعلى الأرملة والضعفاء واليتامى والمساكين.

ثامنًا: موقع المدرسة:

مكان المدرسة في القابل موطن الشيخ صالح بن علي الحارثي[٢]، وقد يتغير مقرها فتارة في مسجد الشيخ صالح، ولا زال المسجد باقيًا إلى اليوم، وتارة في السبلة القريبة من المسجد، وكانت تعتبر السبلة إحدى قاعات تدريس العلوم الفقهية[٣]. وقد كان الشيخ ممن تضرب إليه أكباد الإبل طلبًا للعلم، وممن يفد إليه الأخيار في سن الشباب، وكان منهم نور الدين السالمي (ت: ١٣٣٢هـ)، وكان عمر السالمي خمسًا وعشرين سنة، حينما وصل إلى شيخه بالشرقية، وقد قام السالمي بدراسة مختلف العلوم عنده، ومنها: التفسير والحديث وأصول الفقه وأصول الدين والنحو والمعاني والبيان والمنطق[٤].

وبقي السالمي في القابل إلى أن توفي الشيخ صالح، ويتبين أنه بقي في الشرقية سبعة عشر عامًا، حيث توفي الشيخ صالح بن علي الحارثي عام (١٣١٤هـ)، وظل السالمي يغترف من شيخه ويساعده في تعليم طلاب العلم ممن يفد إليه، وقد وصف السالمي شيخه بقوله: "وقد كان -رحمه الله- أعلم أهل زمانه في الحلال والحرام، وأشدهم حرصًا على قوام الإسلام، وأكثرهم خصالًا في صفات الكرام، وكان أحد الثلاثة الذين دارت عليهم مملكة إمام المسلمين عزان بن قيس -رحمه الله- وأما قريناه الآخران فهما هذا الشيخ سعيد بن خلفان ابن

(١) السالمي، أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، المرجع السابق، ص٢٤٩.
(٢) النبهاني، **عمان في عهد السلطان تيمور بن فيصل**، مرجع سابق، ص٢٠٦.
(٣) النبهاني، عمان في عهد السلطان تيمور بن فيصل، ص٢٠٩.
(٤) السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ص٢٤٧.

أحمد بن صالح الخليلي، والشيخ مُحَمَّد بن سالم الغاربي، والشهادة من نور الدين السالمي لشيخه تكشف عن الدوافع التي دفعت به نحو التعلم من هذا الشيخ، ومكانة الشيخ في ذهن تلميذه، ولهذا حزن السالمي حزنًا شديدًا(١).

تاسعًا: النظام الدراسي والمناهج في مدرسة الشيخ صالح:

المدرسة الإصلاحية التي أرسى دعائمها الشيخ صالح بالقابل كانت قائمة على دعوة الخلق إلى الحق، فهدفتْ إلى الإصلاح المجتمعي، وفهم تعاليم الدين الإسلامي معًا، حيث أدرك الشيخ صالح أن من واجبه أن يجدد في إعلاء مجد عُمَان ويعلو من شأنها، لذا قامتْ ملامح مدرسته بالمزج بين الإصلاح الاجتماعي وتعلم العلوم الدينية، وتفصيل هذين الاتجاهين فيما يأتي:

١] المواد التعليمية:

يدرس الطلاب مختلف العلوم الدينية الأساسية، ومنها: التفسير، والحديث، وأصول الفقه، وأصول الدين، والنحو، والمعاني والبيان والمنطق(٢).

٢] الإصلاح الاجتماعي:

أصبحت المدرسة بشيخها وتلاميذها مرجعًا للإصلاح الاجتماعي، حيث يفد إلى الشيخ مختلف شرائح المجتمع لفك نزاعاتهم، أو الإجابة على تساؤلاتهم واستشاراتهم، الأمر الذي استنزف من وقت الشيخ فأصبح مقلًّا في تصنيف المؤلفات.

يقول لتلميذه السالمي: "افتِ فقد آن لك أن تفتي"(٣). وفي هذا الكلام إشارة إلى اشتغاله بقضايا الناس وثقته بتلميذه، حتى أصبح يساعده في الإصلاح الاجتماعي، بل صرح الشيخ صالح في غير موضع من كتابه "عين المصالح" بانشغال قلبه(٤)، ومن ثم تفويض طلابه

(١) السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، المرجع السابق، ص٢٤٨.

(٢) السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(٣) الصقري، محمود، **السيرة الزكية**، ص٢٠، نقلًا من سعيد بن حمد الحارثي: **اللؤلو الرطب**، ص٦٠.

(٤) ينظر: آل خليفين، **عين المصالح**، ص١٥١ و ص٢٢٤.

في مساعدته، كما أن كتابه "عين المصالح" عبارة عن فتاوى، مما يدل على المنهج الإصلاحي في مناهج مدرسته.

وعلى كلا الاتجاهين يدور التعليم الديني في مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي حول توجيه الفرد عقليًّا ووجدانيًّا نحو الله سبحانه وتعالى، والارتباط به ارتباطًا يؤكد تبعيته له دون سواه، وكان يؤدي إلى ما يرتبط بهذا التوجيه من ممارسة عملية وأنماط سلوكية، ومن هنا كانت ركائز هذا التعليم هي مواد: القرآن الكريم، والتوحيد، والفقه ومواد اللغة العربية، وبفضل هذا التعليم الذي يتمثل في بناء إنسان متوازن متكامل، وفي تكوين شخصية سوية عقليًّا ووجدانيًّا.

وزخرت عمان بتراث حافل من ألوان العلوم والآداب، فلقد تخرج في مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي علماء أجلاء وأدباء موهوبون، عرفوا في جميع أرجاء عمان، وأسهموا بنصيبٍ وافرٍ في تكوين تراثها في مجالات الدين والتوحيد والفقه والتاريخ والأدب وغير ذلك مما ينتظمه هذا التراث، والذي يفتخر ويعتز به كل مقدر للفكر الإنساني.

عاشرًا: تلاميذ مدرسة الشيخ صالح:

بعد وفاة شيخه سعيد بن خلفان الخليلي والإمام عزان بن قيس رحمهما الله، رأى الحارثي أن من واجبه التجديد في مجد عمان الشرعي، ولا إعادة لمجدها إلا بتربية الشباب على تعاليم الإسلام، فعمد إلى وضع اهتمامه الأول الأشراف على مدرسته بالقابل لتكون مرجعية للإصلاح والتجديد، فورد طلاب العلم إلى هذه المدرسة يتفيئون ظلالها ويرشفون من رحيق إخلاص مشرفها، أعداد كبيرة لم تسعف المصادر بتراجمهم، وليس في الأمر مبالغة إذا قيل: ما من عالمٍ في عمان إلا وله صلة بهذه المدرسة مباشرة أو غير مباشرة، وتلاميذ للشيخ صالح الحارثي، ولو لم يتخرج من مدرسة الحارثي إلا نور الدين السالمي -رحمه الله- لكفى، فكيف وقد درس على يد الشيخ صالح الحارثي مجموعة من التلاميذ، أبرزهم العلامة الكبير نور الدين عبد الله ابن حميد السالمي، والشيخ العالم الفقيه أبو مالك عامر بن خميس المالكي،

وابنه الشيخ الأمير عيسى بن صالح الحارثي، وفيما يلي ترجمة مختصرة لهؤلاء التلاميذ المشاهير:

أولًا: ترجمة نور الدين السالمي:

الإمام عبد الله بن حميد بن سُلُوم (بضم السين وضم اللام مع تخفيفها) بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي. والسالمي نسبة إلى سالم بن ضبة بن أد بن طابخة (عمرو) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أمَّا والد الإمام فهو الشيخ حميد بن سلوم السالمي، وكان رجلًا وجيهًا وفاضلًا، ذا تقوى وورع، وهو أول أساتذة الإمام، حيث درس على يديه القرآن الكريم(١).

لما بلغ الإمام السالمي العاشرة من العمر –وقيل: الثانية عشر– كُفَّ بصره، فأبدله الله تعالى ببصيرة فذة، فكان حافظًا قوي الذاكرة، لا يكاد يسمع شيئًا إلا وعاه، وهي خاصية أودعها الله تعالى فيه(٢).

قرأ القرآن عند والده في بلدة (الحوقين)، ثم انتقل إلى قرية (قصرا) في الرستاق، وكانت الرستاق تزخر بالعلماء الأفاضل كالشيخ عبد الله بن مُحَمَّد الهاشمي، والشيخ راشد بن سيف اللمكي، والشيخ ماجد بن خميس العبري، فتتلمذ على يد الشيخ راشد بن سيف اللمكي، وقد أخذ نور الدين ينتقل بين علماء الرستاق حتى نبغ في العلم، وصار ينافس شيوخه في سعة علمه، وقد قال شيخه راشد بن سيف اللمكي: أخذت العلم عن الشيخ ماجد بن خميس، فصرت أوسع منه علمًا، وأخذ عني العلم الشيخُ عبد الله بن حميد فصار أوسع مني علمًا(٣).

---

(١) السالمي، حمزة بن سليمان، مقالة بجريدة الوطن، ملحق (أشرعة) ٢٠٠٧/٤/٤ ضمن الرابط: http://www.alwatan.com/graphics/٢٠٠٧/٠٤apr/١٤.٤/dailyhtml/culture.html

(٢) السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، مرجع سابق، ص: ١٢٢– ١٢٥.

(٣) إبراهيم بن ناصر الصوافي، وأسعد بن حمود الصوافي، وأحمد بن درويش السيابي، وصالح بن سعيد المعمري، تحقيق: مشارق أنوار العقول، دون ناشر أو تاريخ، ص: ٣، ٤، وكذلك: السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، مرجع سابق، ص١١٨.

ثم هاجر الشيخ نور الدين السالمي إلى المنطقة الشرقية سنة ١٣٠٨هـ لما سمعه من أخبار الشيخ صالح بن علي الحارثي من علو صيته، فطلب الشيخ صالح من الإمام نور الدين السالمي أن يستوطن قرية القابل من شرقية عمان فامتثل أمره[١]، ولبث عنده يلتقط من فوائده، ويستخرج من فرائده، فدرس التفسير، والحديث، وأصول الدين، والنحو، والمعاني، والبيان والمنطق[٢].

ثانيًا: ترجمة الشيخ عيسى بن صالح بن علي الحارثي:

الشيخ الأمير عيسى بن صالح بن علي الحارثي (١٢٩٠- ١٣٦٥هـ)، وهو ممن لازم أبيه في بداية صباه، ثم تتلمذ على يد الشيخ السالمي وخاصة بعد وفاة والده، فأخذ عنهما العلم، وكان مضرب المثل في التقوى والعمل الصالح، وكان رجلًا شجاعًا مقدامًا نصر الحق وأهله، وله مؤلفات منها: رسالة في منع الإسقاط بالجوائح وغيرها.

ثالثًا: ترجمة الشيخ أبو مالك عامر بن خميس المالكي:

الشيخ أبو مالك عامر بن خميس المالكي (١٢٨٠- ١٣٤٦هـ) كان أبوه فقيرًا وأراد أن يمنعه من الدراسة حتى يتفرغ لكسب المعيشة؛ ولكنه لم يستسلم للواقع، فلازم حلقات مدرسة الشيخ صالح الحارثي، ثم أكمل تعليمه في حلقات الشيخ نور الدين السالمي حتى أصبح ممن يُشار إليهم بالبنان، وتولى القضاء والتدريس والتأليف، ومن تآليفه (غاية المرام في الأديان والأحكام) كتاب منظوم في الأحكام وغيره، توفي إلى رحمة الله في الخامس من رمضان ١٣٤٦هـ.

(١) النبهاني، **عمان في عهد السلطان تيمور بن فيصل**، ص٢٠٦.

(٢) السالمي، أبو محمد عبد الله بن حميد، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، مرجع سابق، ص١١٩.

الخاتـــمة

التعريف بعالم جليل من علماء الإسلام له أهمية كبرى، لا يتسع لها هذا البحث، لكن ما كُتِبَ هنا إطلالة موجزة على معلم له دور كبير في نهضة مجتمعه بالقرن الرابع عشر الهجري، كما كان له مؤلفات ومواقف علمية عديدة وفتاوى مرتبطة بحياة المسلمين، وكما كان الشيخ المحتسب رجل علمٍ، كان رجل عملٍ أيضًا؛ نظر إلى حال المسلمين في زمانه، وسعى نحو تطبيق ما فهمه من واقع حالهم، كما كان داعية ليس محليًّا في دعوته فحسب، بل داعية إلى الوحدة الإسلامية، ولا شك أنَّ إنجازاته العلمية والعملية ستبقى قيد الدرس والنظر العميق الذي يثري المكتبة الإسلامية.

فنتيجة لقوة تأثير الشيخ، برز من خريجي مدرسته مجموعة من العلماء المتمكنين في العلم والإصلاح، والأمة اليوم بحاجة إلى تراث علمائها لإعادة بنائه والتأسي به، واستثماره كأحد مقومات النهضة.

النتائج:

- تميزت عمان بظهور كوكبة من العلماء الأفذاذ على امتداد التاريخ، وفي القرن الرابع عشر الهجري برز منهم الشيخ صالح بن علي الحارثي.
- كان الشيخ صالح بن علي الحارثي من أهم الشخصيات العلمية والسياسية والاجتماعية في تاريخ عمان الحديث، ومن الموقعين البارزين على إمامة الإمام عزان بن قيس (١٨٦٩- ١٨٨١م).
- مكانة وعلم الشيخ صالح بن علي الحارثي أهَّلته لأن يكون من المحتسبين، فقام مقام الإمام العادل؛ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
- كان لنشأة الشيخ صالح بن علي الحارثي وحياته الاجتماعية وشخصيته القيادية أثر بارز في تأسيس مدرسة قوية الأثر.
- تعتبر مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي تتمة للقوى الدافعة في حركة التعليم المستمرة في عمان، منذ دخول الإسلام في عمان حتى القرن الرابع عشر الهجري.

- ظهرت أيضًا في عمان بعض المدارس وبيوت التعليم في القرن الرابع عشر الهجري عصر ظهور مدرسة الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي.
- يُعدُّ نظام مدرسة الشيخ صالح الحارثي اتجاهًا فكريًّا تقليديًّا سائدًا في عمان، له أثره القوي في تأسيس نهضة دينية.
- من أهم الملامح الفكرية لمدرسة الشيخ صالح الحارثي التكامل بين الاهتمام بالحياة الإصلاحية الاجتماعية والحياة العلمية.
- لو لم يتخرج من مدرسة الشيخ المحتسب سوى نور الدين السالمي لكفى؛ حيث إن تميز السالمي لا يسع المجال لوصفه، فوحده أمة مميزة.
- تشرفت قرية القابل بولاية القابل باحتضان مدرسة الشيخ صالح ابن علي الحارثي، ولا زالت ثمار تلك المدرسة مستمرة إلى الوقت الحاضر من خلال المؤلفات، ومن خلال القدوة التي اشتهر بها الشيخ.

التوصيات:

- تنظيم برامج تثقيفية بأساليب حديثة للتعريف بشخصية الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي.
- تصميم رسوم متحركة للأطفال تحكي سيرة الشيخ بأسلوبٍ جذابٍ؛ لتشكيل قدوة عمانية مميزة.
- تصميم موقع إلكتروني يحتوي على مؤلفات الشيخ، وكل الدراسات التي تحدثتْ عنه.
- إخراج فلم وثائقي تلفزيوني لإظهار مدرسة الشيخ صالح الحارثي.
- استغلال آثار المدرسة بقرية القابل وتحويلها إلى مزار تراثي سياحي ملهم للأجيال المعاصرة في تشكيل قدوة حسنة، ورفدها بوسائل جذابة معاصرة.

المراجـــع

١. إبراهيم بن ناصر الصوافي وأسعد بن حمود الصوافي وأحمد بن درويش السيابي وصالح بن سعيد المعمري، تحقيق: مشارق أنوار العقول، معهد العلوم الشرعية، ١٩٩٨.

٢. ابن رزيق، حميد بن مُحَمَّد، **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**، وزارة التراث والثقافة (سلطنة عمان)، مسقط، سلطنة عمان، ١٩٨٣.

٣. أبو بشير مُحَمَّد عبد الله السالمي، **نهضة الأعيان بحرية عمان**، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د. ت).

٤. آل خليفين، الشيخ أبو الوليد سعود بن حميد، **عين المصالح في أجوبة الشيخ صالح**، مكتبة الضامري، مسقط، سلطنة عمان، ط٢، ١٩٩٣.

٥. الحارثي، سالم عبد الله، **أضواء على بعض أعلام عمان قديمًا وحديثًا**، المطبعة العالمية، مسقط، ١٩٩٤.

٦. الخصيبي، مرشد بن مُحَمَّد، **عمان أيام زمان**، وزارة التراث القومي والثقافة، ط١، مسقط ١٩٩٤.

٧. الخليلي، سعيد بن خلفان: **تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

٨. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، مطابع دار الفكر، بيروت.

٩. السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، (د. ت).

١٠. السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **معارج الآمال**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٩٣.

١١. السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **الحق الجلي**، وكذلك: **مقدمة عين المصالح** (http://www.taddart.org/?p=٦٨٩٠).

١٢. السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **إيضاح البيان**، طبع بمطابع الباطنة ومكتبتها للطباعة والتكنولوجيا الحديثة، الناشر مكتبة نور الدين السالمي، سلطنة عمان.

١٣. السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **بهجة الأنوار**، طبع بمطابع النهضة، سلطنة عمان (١٤١١هـ- ١٩٩١م).

١٤. السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **شرح الجامع الصحيح**، طبع من قبل مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان.

١٥. السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **شرح بلوغ الأمل في المفردات والجمل**، طبع بمطابع عمان ومكتبتها، سلطنة عمان.

١٦. السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **طلعة الشمس**، طبع من قبل وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٧. السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **مدارج الكمال**، طبع بوزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

١٨. السالمي، أبو مُحَمَّد عبد الله بن حميد، **مشارق أنوار العقول**، طبع بتحقيق: عبد المنعم العاني، وتعليق سماحة الشيخ الخليلي، دار الحكمة دمشق سوريا ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١٩. السالمي، حمزة بن سليمان، مقالة بجريدة الوطن، ملحق (أشرعة) ٢٠٠٧/٤/٤ ضمن الرابط: http://www.alwatan.com/graphics/٢٠٠٧/٠٤apr/١٤.٤/dailyhtml/culture.html

٢٠. السليماني، عيسى بن مُحَمَّد، **ديوان نور الدين السالمي للإمام السالمي**، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، عمَّان، الأردن.

٢١. السيابي، سالم حمود، **العنوان عن تاريخ عمان**، د. ت.

٢٢. الصقري، محمود بن عبد الله بن سلام: **السيرة الزكية للشيخ الولي صالح بن علي**، بحث تخرج من كلية العلوم الشرعية بسلطنة عمان، ٢٠٠٢م، غير منشور.

٢٣. مرسي، مُحَمَّد منير، **التعليم في دول الخليج العربية**، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٤. النبهاني، سالم بن حمد، **عمان في عهد السلطان تيمور بن فيصل**، البرنامج الوطني لدعم الكتاب، سلطنة عمان.

٢٥. وزارة التربية والتعليم، **لمحات عن ماضي التعليم في عمان** (صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة عشر للعيد الوطني المجيد ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م)، وزارة التربية والتعليم وشئون الشباب، ١٩٨٥.

الهاشمي، سعيد بن مُحَمَّد، **الشيخ صالح بن علي الحارثي ودوره الاجتماعي والسياسي**، جامعة الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية في العدد ١٢٥، ٢٠٠٧، متاح في أرشيف جامعة السلطان قابوس وموقع دار المنظومة.